قراءة اجتماعية للثقافة الفرعية لتعاطى المخدرات

البسيونى عبد الله*

تتناول الدراسة الحالية إعادة قراءة مداخل تفسير تعاطى المخدرات، وتحديد أنسب مداخل التفسير، ومحاولة رصد حجم مشكلة المخدرات عالميًا ومحليًا، والتعرف على مدى كفاءة مدخل الثقافة الفرعية فى تفسير تعاطى المخدرات وانتشارها.

مقدمة

إن مشكلة تعاطى وإدمان المخدرات من أكثر المشكلات الاجتماعية خطورة وتعقيدًا ولها تأثير كبير فى تقدم أى مجتمع سواء كان ناميًا أم متقدمًا.

وتكمن خطورة هذه الظاهرة فى أنها تستهدف الموارد البشرية لأى مجتمع وخاصة الشباب منهم مما يعرقل أى جهود تستهدف النهوض بهذا المجتمع، وتضر بأخلاقه واستقراره وتهدد اقتصاده.

وفى محاولة لتفسير ظاهرة تعاطى المخدرات، نجد أن الدراسات الاجتماعية التى أجريت تجمع على أن تعاطى المخدرات مشكلة متعددة الأبعاد والمتغيرات، فلا توجد نظرية واحدة أو عامل واحد أو متغير بعينه يمكن فى ضوئه تفسير أسباب تعاطى المخدرات، حيث تتعدد العوامل وتتباين أهميتها من مجتمع لآخر.

ومن هنا تأتى أهمية الدراسة الحالية التى تتبلور فى إعادة قراءة مداخل تفسير تعاطى المخدرات من أجل انتشال المتورطين فى ذلك، ووقاية من لم ينزلقوا فى التعاطى فى محاولة لتحديد أنسب مداخل التفسير، حيث يتركز هدف هذه الورقة،

* أستاذ ورئيس قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الزقازيق.

وفى ضوء ذلك أمكن صياغة مجموعة من التساؤلات مثل: ما حجم مشكلة المخدرات عالميًا ومحليًا؟ ما أبرز مداخل تفسير تعاطى المخدرات؟ ما المدخل الأكثر كفاءة لتفسير تعاطى المخدرات؟ وما كفاءة مدخل الثقافة الفرعية فى تفسير تعاطى وانتشار المخدرات؟

وغنى عن البيان أن الورقة فى معالجتها لموضوعها تتضمن مفهومين حيث تنطلق من التعاطى باعتباره التعاطى المتكرر لمادة نفسية أو لمواد نفسية، لدرجة أن المتعاطى يكشف عن انشغاله بالتعاطى، كما يكشف عن العجز أو رفضه للانقطاع، أو لتعديل تعاطيه، وكثيرًا ما تظهر عليه أعراض الانسحاب إذا ما انقطع عن التعاطى، وترى منظمة الصحة العالمية أن من الضرورى التخلى عن مصطلحى الاعتياد والإدمان وإحلال مصطلح التعاطى محلها والذى يجمع بين العناصر الأساسية التى تمثل المقام المشترك بين الاعتياد والإدمان(١).

كما يقصد بالمخدر، Narcotic: مادة كيماوية تسبب النعاس والنوم وغياب الوعى المصحوب بتسكين الألم وكلمة مخدر ترجمة كلمة (Narcotic) المشتقة من الإغريقية (Narcotis) التى تعنى يخدر أو يجعله مخدرًا، وبذلك لا تعد المنشطات ولا عقاقير الهلوسة مخدرة وفق التعريف بينما يمكن اعتبار الخمر من المخدرات(٢)، وكلمة مخدر فى اللغة العربية مشتقة من الخدر وتعنى الضعف والكسل والفتور والاسترخاء، يقال تخدر العضو إذا استرخى فلا يطيق الحركة، وعرف الفقهاء المخدر بأنه تغطية العقل والحواس من غير نشوة ولا طرب، وذكروا الحشيش مثالًا عليه، والحقيقة أن هذا التعريف لا ينطبق على واقع المخدرات، والأولى أن تعرف بأنها ما يشوش العقل والحواس بالتخيلات وتؤدى بالاعتياد عليها الإذعان لها(٣).

وفى ضوء ذلك تم الاستناد للأسلوب التحليلى لبعض الأفكار والقضايا المستخدمة فى مداخل تفسير تعاطى المخدرات.

وتحقيقًا لذلك انقسمت الورقة فى معالجة موضوعها لما يلى:

أولًا: لمحة عن حجم مشكلة المخدرات وتطوراتها بين العالمية والمحلية.

ثانيًا: الثقافة الفرعية والثقافة الخاصة الجانحة.

ثالثًا: الثقافة الخاصة بالمخدرات.

وذلك على النحو التالى:

أولًا: حجم المشكلة وتطوراتها بين العالمية والمحلية

يُلقى تقرير المخدرات العالمى نظرة شاملة على آخر التطورات فى أسواق المخدرات(٤)؛ حيث تُظهر البيانات الجديدة أنَّ انتشار متناولى المخدرات بالحقن وغيرهم من متناوليها بالحقن المصابين أيضًا بفيروس نقص المناعة البشرية فى عام ٢٠١١، ظهرت أقل مما أشارت إليه التقديرات السابقة، إذ تشير التقديرات إلى أن ١٤,٠ مليون شخص ممن تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٦٤ سنة يتناولون المخدرات حَقنًا، بينما يصل عدد المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية من بين متناولى المخدرات بالحقن إلى ١,٦ مليون نسمة. ويمثّل ذلك، منذ تقديرات عام ٢٠٠٨، انخفاضًا بنسبة ١٢ فى المائة فى عدد متناولى المخدرات بالحقن وبنسبة ٤٦ فى المائة فى عدد متناولى المخدرات بالحقن المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية.

وفى عام ٢٠١١، قُدِّر عدد الوفيات المرتبطة بتناول المخدرات بـ ٢١١٠٠٠ حالة وفاة. وقد حدثت معظم هذه الوفيات فى صفوف الشباب من متناولى المخدرات، وهى وفيات كان من الممكن جدًا تفاديها. وظلت شبائه الأفيون تتصدّر الفئات من المواد المبلغ عن اقترانها بالوفيات المتصلة بتناول المخدرات. ولا تزال هناك ثغرة ذات شأن فى تقديم خدمات المعالجة من الارتهان للمخدرات، إذ يقدَّر أنَّ واحدًا فقط من بين ستة من متناولى المخدرات الإشكاليين تلقى العلاج فى السنة السابقة، ونظرًا لضخامة كميات المواد المشروعة التى تُنقَل يوميًا عبر المحيطات

والقارات فى حاويات، بل حتى فى قوارب صغيرة، بات تهريب المخدرات بحرًا يشكّل تحديًا بالغ الجسامة أمام السلطات.

حجم الظاهرة

أصبحت ظاهرة المخدرات ظاهرة خطيرة نتيجة تأثير الظروف العالمية والإقليمية والمحلية، إلى جانب حدوث تطور جديد وسريع فيها خلال السنوات الماضية، إذ انتشرت بين جميع فئات المجتمع بدءًا من الطبقات الدنيا حتى الراقية منها، وبين مختلف فئات العمر أيضًا والجديد أيضًا هو زيادة نسبة جرائم المخدرات سواء تعاطى أو ترويج بين فئات النساء والأطفال أيضًا. وقد هدفت دراسة حديثة إلى محاولة فهم العلاقة بين إدمان المخدرات وأنماط السلوك الإجرامى الأخرى عند الشباب المصرى، من خلال التعرف على أنواع الجرائم التى يرتكبونها نتيجة إدمانهم المخدرات. وانتهت إلى أن هناك علاقة بين إدمان الشباب للمخدرات وبين ارتكابهم للسلوك الإجرامى، وأن هناك تنوعًا فى الجرائم التى يرتكبها الشباب المدمن للمخدرات(٥).

كذلك تغير أشكال المخدرات ونوعياتها وطرق تداولها، لدرجة أنها أصبحت تتخفى فى مستحضرات التجميل وبعض الأغذية، كما أن الشباب الآن هم أكثر الفئات المستهدفة فى المجتمع، إلى جانب أنه لوحظ انخفاض سن متعاطى المخدرات واستخدام المواد المخدرة.

وقد كشفت دراسة أجراها البرنامج الدائم لبحوث تعاطى المخدرات بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية على عينة شملت ١٩ ألف طالب وطالبة فى الجامعات الحكومية تفشى الظاهرة بينهم. إذ إن ٥٪ من طلاب الجامعات الحكومية يتعاطون المخدرات التقليدية، وأكثر من ١٠٪ منهم يحتسون الكحوليات، و١٠٪ يدخنون السجائر. أما الكارثة الكبرى فهى أن ٧٠٪ من الطلاب يتعاطون الأدوية

النفسية (المؤثرة فى الأعصاب) المدرجة فى جداول المخدرات، وثلث هذه النسبة يتعاطاها بشكل منتظم[٦].

ثانياً: الثقافة الفرعية والثقافة الخاصة الجانحة

يعد المدخل الثقافى فى تفسير السلوك الإجرامى من بين الاتجاهات النظرية الحديثة، التى أسفرت عن نتائج تؤكد المضمون الثقافى المميز لبعض الجماعات التى تحترف الجريمة من بين صغار السن والمراهقين، واصطلح على تسميته بـ"الثقافة الفرعية للجانحين"، وينصرف ذلك المحتوى الثقافى إلى إفراد طائفة من السمات والخصائص السلوكية، ومجموعة من المعايير والقيم، وعدد من المؤشرات والرموز التى تشكل فى جملتها إطارًا مرجعيًا يحكم تصرفات الجانحين كجماعة[٧].

ولهذا فإن الثقافة الفرعية للجانحين مردها الجماعة وليس الفرد، وتكون بالبحث عن مكونات ذلك الإطار الثقافى، وكيف تتفاعل سويًا فى تشكيل دوافع السلوك فى اتجاه معين، بحيث تستأثر العوامل الثقافية فى الفهم والتحليل والتعليل بالاعتبار الأول، ويعنى ذلك التركيز على نماذج السلوك الجمعى، كما يدل على أن أنصار هذا الاتجاه لا يستبعدون وجود عوامل أخرى ذات قوة تفسيرية، ولكنها من مستوى أقل من العوامل الثقافية، تلك العوامل التى دفعت البعض منهم إلى النظر للجماعات الإجرامية والمنحرفة (كالعصابات، وشلل التمرد والعصيان، وجماعات الشعب وغيرها) على أنها مرادفة لمفهوم الثقافة الفرعية للجانحين، وهو موقف غير مقبول لما بين الجماعة – كوحدة منظمة لها وجودها العيانى المشخص – والثقافة – كإطار مجرد لمقومات وعناصر محددة – من فوارق واضحة.

إن من أبرز رواد الاتجاه الثقافى فى تفسير السلوك الإجرامى: ألبرت كوهين، وولتر ميلر، وسايكس، وماتزا، وكلوارد، وأوهلين، وهم من كشفوا النقاب عن العلاقات

الوثيقة بين التركيب والتدرج الطبقى للمجتمع ككل، وبين الجماعات المنحرفة والثقافات الخاصة بكل منها[٨].

ويشير أنصار هذا الاتجاه إلى الكثير من عناصر الثقافة فى فحواها العام، من حيث إنها تشير إلى نماذج التصرف وأساليب الحياة المألوفة التى توجه السلوك، ولا يبدأ الوجود الثقافى الفرعى من حيث ينتهى الكل الثقافى، بل بينهما وحدة والتئام، ومن ثم فإن الثقافة الفرعية تحقق تكافئًا فى مكوناتها مع الثقافة الأم فى المجتمع المحلى أو الطبقة الاجتماعية أو إحدى شرائح تلك الطبقة[٩].

وقد عقد "كوهن" مناظرة بين المعايير السائدة وسط الشرائح والطبقات الأخرى فى المجتمع وخاصة الطبقة المتوسطة وبين معايير الشرائح الدنيا مبرزا التناقضات التى تؤدى إلى الازدواج الثقافى، وينتهى "كوهن" إلى أن الثقافة الفرعية للجانحين التى تقترن أساسًا بالشرائح الطبقية الدنيا تعتمد على ركائز ثقافية أكثر منها اقتصادية، وهو فى هذا يردد بعض أفكار "أوسكار لويس".

أما "ولتر ميلر" فقد جاء بنظرية أخرى أطلق عليها (نظرية الاهتمامات المركزية أو البؤرية)، وهو كعالم أنثروبولوجى منح العوامل الأيكولوجية دورًا مهمًا فى التأثير على سلوك الأفراد، لا سيما وأنه اعتمد على الشواهد الميدانية التى استمدها من دراسته لعصابات الناصية بمدينة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، ولكنه مثل "كوهن" اهتم بمتغير الطبقة وشريحة العمال (الشغيلة) بخاصة كوسط اجتماعى محورى فى تكوين الثقافة الفرعية للمجرمين، وعلى ذلك فإن التكامل بين عناصر السكان فى الجيرة والحى، والتجانس فى أساليب العيش يفضى إلى تمركز طائفة من السمات التى تناهض تمامًا نظائرها المقدرة بين الطبقات المتوسطة[١٠].

ويتفق "ميلر" مع "كوهن" فى تقدير دور الأنثى باعتبارها مركز التفوق والسيطرة فى الأسر التى ينتمى إليها المجرمون، كما يقدم طائفة من السمات ذات التكوين

المزدوج، ويوجد لكل سمة ثقافية بعدان: أحدهما: يعين سلوك المجاسرة والإقدام. والثانى: يدفع إلى الإذعان والانسحاب وكلاهما يرتبط بمظاهر الانحراف على اختلاف صورها، وهذه السمات الأساسية تجاورها بعض الخصائص الفرعية الأخرى مثل "التآلف" بين جماعات الرفاق وتولى "الأنثى" الأم للشئون المنزلية بسبب غياب الأب أكبر وقت ممكن، وقيام نسق للجزاءات داخل جماعات الانتماء الخارجى ومنها العصابة التى يتفوق دورها أحيانا على الضوابط الأسرية، التى تبدو واهية وغير فعالة، وتعد العصابات الإجرامية ترجمة للشروط الحياتية التى يتميز بها أبناء الشرائح الدنيا، وتعبيرًا عن المشكلات الخاصة التى تواجههم، وفى تقديرى أن "السمات البؤرية) كما يسميها "ميلر" مرادفة فى المضمون والمعنى لبعض القيم المستقرة فى الوسط الطبقى وفى الجيرة والحى وبين الرفاق.

على أن هذا المدخل الثقافى فى تفسير السلوك الإجرامى تعرض لانتقادات عديدة على ضوء نتائج بعض الدراسات الميدانية، كما ظهرت تيارات نقدية جديدة ترفض الفروض والنتائج التى انتهى إليها الباحثون عن الثقافات الفرعية وثقافة الفقر بخاصة، متهمة إياهم بالتحيز وتبرير الأوضاع الاجتماعية القائمة فى مجتمعات تغيب عنها متطلبات العدالة الاجتماعية وتتعرض للقهر السياسى، وقد تجاهل هؤلاء الباحثين الشروط المفروضة على بعض الشرائح ومظاهر القسر التى أفرزت واقعًا اجتماعيًا مأساويًا بالضرورة، ونتيجة لتحيز صناع القرار إلى جانب الشرائح الطبقية المتوسطة والعليا، وجنوح سياسة التخطيط والتنمية باستمرار نحو العمل من أجل استمرار رفاهية الطبقات العليا فى مقابل تدهور أحوال الفقراء، فقد جاء رد الفعل من جانب هذه الأخيرة مناهضًا للسياسات غير المتوازنة، وللدفاع عن مصالحها، وكان من الضرورى أن يحدث تلاحم بين أفراد الشرائح الدنيا تدعمه طائفة من المعايير

والقيم اعتبرها الباحثون فى الثقافات الفرعية منافية أو مناقضة للقيم المقررة بين أبناء الطبقات الأخرى[١١].

وعلى الرغم من الانتقادات المشار إليها سلفًا فإن رواد الاتجاه الثقافى فى تفسير السلوك الإجرامى نجحوا إلى حد كبير فى وصف وتحليل القضايا النظرية التى تدعمها شواهد علمية ووقائع أقرتها الكثير من البحوث الحقلية، والأهم من ذلك أنهم أثاروا قضايا ومشكلات جديدة بالنظر والبحث والمتابعة، بل أننى لا أجد بين المعاصرين فى مجال دراسة الاتجاه الثقافى وثقافات الجماعات الإجرامية بخاصة من قدم أطرًا نظرية على القدر نفسه من الدقة والإحكام الذى أراه قائمًا عند هؤلاء الرواد، حيث يبقى التفسير الثقافى من أقوى الاتجاهات النظرية وأعمقها فى تحليل السلوك الإجرامى.

وعلى ضوء ذلك حاول فريق من الباحثين تفسير تعاطى المخدرات من خلال تحليل الثقافات العامة أو الفرعية، حيث طور "يورسيتين سلين" هذه النظرية فى تفسير ذلك بعد أن كشف عن حالات من التجاذب والصراع تحدث بين مكونات الثقافة الواحدة أو الثقافات المتجاورة، بمعنى عدم اتفاق أفكار ومبادئ وقيم ومعتقدات هاتين الثقافتين.

ومن هنا فإن الصراع الثقافى إما أن يكون داخليًا أو خارجيًا، أما من حيث العوامل التى تُحدث هذه الهوة بين الثقافات فهى إما نتاج التغير الاجتماعى السريع أو نتاج تدخل عناصر ثقافية عبر عمليات الانتشار الثقافى فى تلك الثقافة المستقبلة ولم تحظ بقبول داخل النسق الثقافى العام أو الأنساق الفرعية بالمجتمع.

وعلى ضوء ذلك يرجع تعاطى المخدرات إلى حالات التصارع الثقافى، هذه الحالة من الصراع تخلق درجة من الارتباك فى المجتمع. وهذه الأخيرة تنعكس على سلوك الأفراد مما يجعلهم يبيحون لأنفسهم القيام ببعض الأنماط السلوكية على الرغم

من أنها لا تزال فى الثقافة بحكم السلوكيات الجانحة وغير المقبولة اجتماعيًا، ومثل هذه الحالة ترجع فى الغالب إلى إصابة بناء المجتمع بما يعرف (بالأنومى)، أى عدم وضوح السبيل الثقافى أمام الأفراد، فى مقابل أن الأهداف التى يرمى إليها الأفراد الطموحين ذات إجبار ثقافى واضح، الأمر الذى يجعلهم يبيحون لأنفسهم ابتكار أساليب سلوكية يحققون بواسطتها طموحاتهم ولا يهتمون فى الغالب بمدى شرعية هذه السبل الثقافية، وعليه فإن نزوع المتعاطين للمخدرات يمثل من وجهة نظرهم انتصارًا لثقافتهم.

كما تنطلق نظرية الوصمة الاجتماعية من فرضية أساسية هى أنه قد تتكون هوة بين حكم بعض الأفراد على سلوكيات معينة وحكم الجماعة التى ينتمون إليها، ففى الوقت الذى يُبيح الأفراد لأنفسهم إبداء تلك السلوكيات نجد الجماعة تجرمها وتحكم على فاعلها بكونه خارجًا عن قواعد الإجماع بالمجتمع.

ويرتبط ذلك بسطوة الضوابط الاجتماعية وفرضها الثقافة العامة قسرًا، إلا أنه وكما يؤدى ضعف الضبط الاجتماعى فى المجتمع إلى انتشار الجريمة يؤدى الضبط المفرط فيه إلى اتجاه البعض نحو ارتكاب سلوك إجرامى، ومن هنا فإن ملاحقة الوالدين أو مؤسسات التنشئة الاجتماعية للأطفال، قد تؤدى بهم إلى التعاطى كنوع من أنواع التعويض.

وفيما يتعلق بالثقافة الفرعية يذهب "كوهن" إلى أن كل فئة جانحة تشترك فى مبادئ وقيم واتجاهات تؤلف ثقافة خاصة بهم، يستمدون منها الشعور بالانتماء وتبريرات للسلوك الانحرافى، وتطبيقًا لذلك فقد وجد أن معايير الطبقة الوسطى هى المستخدمة فى الحكم على السلوك عند أطفال الطبقة الدنيا فى المدرسة والنادى وغيرها من المؤسسات التى يتفاعل فيها هؤلاء الأطفال مع المجتمع، ولأن هؤلاء الأطفال لا يشعرون بالتفاف وقبول من حولهم، ولأنه من الصعب عليهم مجاراة وتقبل

معايير الطبقة الوسطى، ولأن من شروط تكون ثقافة فرعية هو وجود فئة من الأفراد تعانى المشكلات نفسها، لذلك تتكون ثقافة فرعية تعالج مشكلات هؤلاء الأطفال، والتى من أهمها مشكلة التكيف، فتطور لديهم معايير سلوكية تستطيع مجاراة التغير فى المجتمع ليدركوا بذلك أهدافهم الأساسية وطموحاتهم ويحققون بذلك ذواتهم، الأمر الذى يزيد من انتمائهم لهذه الثقافة، ويحدث جراء ذلك أن تتصارع معايير وقيم الثقافة الفرعية التى كونها أبناء الطبقة الدنيا وبين معايير الثقافة العامة بالمجتمع، ومن منطلق المعطيات السابقة، تقوم الثقافة الفرعية بتأكيد المعايير المطورة وتأكيد رفضها لمعايير الطبقة الوسطى.

ومن ثم تستمر الثقافة الفرعية فى محاولة تأكيد نفسها فى داخل الثقافة العامة بالمجتمع، وعلى ضوء ذلك يصبح لجوء المتعاطين يمثل نوعًا من أنواع تأكيد الثقافة الفرعية لذاتها ولذات هؤلاء المتعاطين.

ثالثاً: الثقافة الخاصة بالمخدرات

إن نظرية ثقافة المخدرات الفرعية – أو أشباه الثقافات الخاصة بالمخدرات – التى سنفصلها لاحقًا تطبق تقاليد نظرية طورها Kohen (1955); Sutherland (1939); Wolfgang, Ferricutti (1967); Cloward, Ohlin (1960) على ظاهرة تعاطى المخدرات غير الطبى. وبالطبع فإن مفهوم الثقافة الفرعية "Subculture" له تاريخ طويل ومميز فى الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع (Broom, Selznick, 1968; Yinger, 1960) ولكن العديد من معانى هذا المفهوم تبدو واسعة جدًا بحيث لا يمكنها تحليل أنماط تناول المخدرات. ويوضح Fine, Kleinman (1979) أن مفهوم الثقافة الفرعية:

١- ليس مرادفًا للمجتمع الفرعى أو البناء الاجتماعى.

٢- ليس مجموعة من الأشخاص (المجموعات الأساسية أو مجموعات الأقران) أو فئة إحصائية (أى الأشخاص من عمر ١٢ إلى ١٨).

٣- ليس متجانسًا، ساكنًا أو منغلقًا.

٤- ليس مكونًا فقط من القيم والموضوعات المركزية. ولكن الثقافة الخاصة تظهر من التغير بمرور الوقت عبر عملية معقدة من التفاعل الذى يتضمن العديد من الأشخاص أو الجماعات التى يمكن ألا تكون متصلة بشكل مباشر.

كما أن المنظور النظرى الذى نقدمه هنا ليس نظرية كبيرة أو شاملة بأسلوب Parsons, Durkheim, Weber، ولكنه يقترب من ما يسميه Merton "نظريات المدى المتوسط، نظريات تشبه فروض الأعمال الفرعية التى تنبثق أثناء الأبحاث اليومية". وتتكون مثل هذه النظرية من توجه عام نحو البيانات مما يجعل من المتوقع ظهور أنواع من المتغيرات التى يجب وضعها فى الاعتبار وليس علاقات ثابتة أو واضحة بين متغيرات معينة. ويظهر المنظور المقدم هنا من نظريات المدى المتوسط فى العلم الجنائى والسلوك المنحرف، ويركز على قطاع ضيق فقط من هذه المجالات – أى تعاطى المخدرات. ومع ذلك فإنه يحاول تقديم هذا التوجه النظرى العام نحو تناول المخدرات، من خلال[١٢]:

١- الانطلاق من مفاهيم اجتماعية أساسية (القيم، المعايير، الأدوار، إلخ).

٢- وصف محتوى هذه المفاهيم كما يتضح من خلال تعاطى المخدرات.

٣- الربط تحليليًا بين هذه المفاهيم من أجل أغراض اختبار النظرية.

٤- دمج رؤى مهمة من نظريات ونتائج تجريبية أخرى.

٥- توضيح السمات الفريدة لهذا المنظور والتى لا تتوفر فى الزوايا الأخرى.

كما أن هذا المنظور اجتماعى بحت ولا يحاول دمج النظريات النفسية أو الحيوية أو الصيدلانية (الدوائية) الخاصة بتعاطى المخدرات، بالرغم من أن التداخل مع هذه النظريات مقترح فى بعض النقاط.

ولأسباب سوف تظهر لاحقًا، فإن هذا المنظور يكون أكثر فائدة فى فهم أنماط تعاطى المخدرات وإساءة استخدامها التى تحدث فى مرحلة الشباب وبداية الرشد، خاصة بين عمرى ١١ و٢٥ عامًا، بالرغم من أن بعض الأشخاص يبدأون قبل ذلك ويصبحون متورطين فيها إلى عمر أكبر. علاوة على ذلك فإن المشاركة فى ثقافة المخدرات الفرعية ترتبط بثقافة "الطبقة المتوسط" الواسعة، ثقافة" الأقران" أو الشباب، والثقافات الفرعية المتنوعة الأخرى.

وتعكس ثقافة الطبقة المتوسطة الثقافة الواسعة وتحدد ما يتوقع الكبار من الشباب فعله أو عدم فعله. وتتوقع هذه الثقافة الوالدية من الشباب أن يتجنبوا التدخين والإفراط فى المشروبات الكحولية وتعاطى المخدرات. ويستمر تأثير قيم ومعايير السلوك الخاصة بالثقافة الوالدية على الشباب حتى بعد استقلالهم وتركهم للمنزل.

أما ثقافة الأقران (تسمى أيضًا ثقافة الشباب) فتحكم أنماط سلوك الشباب وجماعات الأصدقاء، وتؤكد معايير السلوك الخاصة بثقافة الأقران على ما يلى:

١- يجب أن يكون الشخص مخلصًا لأصدقائه وأن يحاول الحفاظ على ترابط الجماعة.

٢- يجب أن يحدث التفاعل الاجتماعى مع جماعة الأقران فى المواقع التى يكون فيها تحكم الكبار غائبًا نسبيًا.

٣- داخل جماعات الأقران تلك تتواجد منافسة مستترة من أجل المكانة بين المشاركين فى الجماعة مما يؤدى إلى أشكال جديدة من السلوك.

وترتبط مفاهيم ثقافة الأقران وجماعة الأقران بشكل وثيق. فالشخص المعين يمكن أن يكون له عدة أصدقاء مقربين أى جماعة الأقران. ومع ذلك فإن جماعات الأقران لا تتواجد بشكل منعزل، حيث تظهر جماعات أقران سلوكيات مشابهة لجماعات أخرى لأنها تتبع قيم ومعايير سلوك ثقافة الأقران. وترتبط أشباه ثقافات المخدرات بثقافة الأقران

بشكل وثيق، والشيء نفسه ينطبق على الثقافات الفرعية المنتظمة حول السلوكيات غير التقليدية المختلفة، أو حتى السلوكيات التقليدية. ولكل من هذه الثقافات الفرعية قيم ومعايير سلوك تحكم الأنشطة المركزية للجماعة، وتوازى مباشرة شبه ثقافة المخدرات. وهكذا فإن الثقافة الخاصة المنحرفة تظهر من تلك المعايير والقيم التى تؤثر فى السلوكيات وتعزز ارتكاب الأفعال الإجرامية(١٣).

وداخل ثقافة الأقران والثقافة الخاصة بالسلوك غير التقليدى، يكون هناك معيار سلوكى يتمثل فى المنافسة المستترة، وفى العديد من جماعات الأقران بالطبقة المتوسطة والدنيا تكون هناك منافسة خفية مستمرة بين أعضاء جماعة الأقران على القيادة والمكانة. وغالبًا ما تؤدى المنافسة على المكانة إلى تجريب سلوكيات جديدة. وإذا تمت إثابة هذه "الابتكارات" من قبل جماعة الأقران (من خلال زيادة الإعجاب بالشخص الذى قام بها أو احترامه) أو قلدها أفراد آخرون وكرروها، فإنها تولد معاييرها الخاصة بها، وهذه السلوكيات التى لم يكن مسموحًا بها من قبل، تصبح مقبولة وكأنها طبيعية، وربما مطلوبة (معيار سلوكى جديد) من أعضاء جماعة الأقران. وهكذا يمكن أن يتغير توجه الأفراد نحو معايير السلوك والقيم من ثقافة فرعية إلى أخرى، وبالتالى يمكن أن يتغير سلوكهم. أيضًا فإنه مع تعلم جماعة الأقران لمعايير السلوك فى الثقافة الفرعية، وكذلك القيم والطقوس والعادات، فإن أعضاءها يعيدون توجيه تفكيرهم نحو القيم الوالدية الثقافية ويمكن استخدام عدة تكنيكات للتحييد لإنكار صحة معايير السلوك الخاصة بالثقافة الوالدية وتوقعاتهم للسلوك التقليدى(١٤).

والحقيقة المهمة هى أن معايير السلوك والقيم التابعة لهذه الثقافات الفرعية غير التقليدية (المخدرات، الجنوح، إلخ) تكون منتشرة ومعروفة بشكل كبير بين الشباب أو فى ثقافة الأقران، ويمكن أن يوجه الأفراد أنفسهم إلى أى من القيم أو معايير السلوك ويتصرفون طبقًا لها. على سبيل المثال، جماعة الأقران التى يقوم فيها كل فرد

باستهلاك كمية كبيرة من الكحول والتدخين وشم الكوكايين والسطو، تكون فى الوقت نفسه متبعة للمعايير السلوكية والقيم ومشاركة فى كل من تلك الثقافات الفرعية: ثقافة الأقران، تناول الكحول بشكل مفرط، تناول الحشيش، تناول المخدرات المتعددة والجنوح. وتقترح هذه النظرية أن المشاركة فى ثقافة جماعة الأقران والانتماء إليها يسبق التورط فى العديد من الثقافة الفرعية غير التقليدية. وهكذا، فإن العديد من العلاقات الدالة إحصائيًا بين تعاطى المخدرات والأشكال الأخرى من السلوك غير التقليدى (إدمان الكحول، الجنوح، الإجرام، إلخ) يمكن أن تتواجد بسبب الانتماء السابق إلى ثقافة الأقران والميل نحو السلوك غير التقليدى. وتوضح التحليلات السببية للعلاقة بين تناول المخدرات ومشكلات السلوك الأخرى، أن أحدهما لا يسبب الآخر، وأن كلاهما ينتج عن الميل الموجود سلفًا نحو السلوك غير التقليدى.

بالإضافة إلى ذلك، فإن العديد من الأفراد وجماعات الأقران قد استوعبت قيم ومعايير السلوك من ثقافة الوالدين التى تشدد على تجنب تعاطى المخدرات، الكحوليات، النشاط الإجرامى. وغالبًا ما تناقض معايير الثقافة الفرعية غير التقليدية الثقافة الوالدية، ويمكن أن يؤدى هذا التناقض أو الصراع حيال السلوك المناسب إلى أن يجرب الأفراد هذا السلوك غير التقليدى أو تعاطى المخدرات.

بالرغم من عدم وجود تعريف مقبول بشكل عام فى هذا الوقت، إلا أننا ننطلق من كون الثقافة الفرعية "تتكون من قيم، معايير سلوك، مواقع اجتماعية، تعريفات للأدوار، مشاركة ونقل وتعلم للقيم". ويشير مصطلح "الثقافة الفرعية للمخدرات" إلى تلك القيم والمعايير والمواقع الاجتماعية والطقوس وتعريفات الدور والأداءات المرتبطة بالتعاطى والعناصر الأكثر أهمية لأي ثقافة فرعية هى قيمها ومعايير السلوك الخاصة بها. ويفهم هنا أن القيم هى الأفكار المشتركة عما تعتقده الجماعة الفرعية صحيحًا أو ما تريده (ترغب به) وربما تكون القيمة الأهم فى الثقافة الفرعية للمخدرات والتى

تفصلها عن الثقافة التقليدية العامة هى الرغبة فى "الارتفاع" أو الشعور بالنشوة أو السعادة الوقتية كنتيجة للاستهلاك غير الطبى للعقاقير. وهذه القيمة هى المحور المنظم للثقافة الفرعية.

إن معايير السلوك ضرورية أيضًا لفهم الثقافة الفرعية. وهى توقعات السلوك فى موقع اجتماعى معين والتى ترتبط بالمكانة داخل الجماعة وتحكم معايير السلوك "الأنشطة المركزية التى تنتظم حولها الجماعة" وهى تقدم المتطلبات الضرورية لأداء الأدوار المسيطرة التى تدعمها الثقافة الفرعية. وهكذا فإن الخط الفاصل بين المشاركة الهامشية وعدم المشاركة فى الثقافة الفرعية للمخدرات يمكن تحديده بدقة من خلال تحديد ما إذا كان الشخص قد استخدم مخدرًا معينًا فى محاولة متعمدة للنشوة(١٥).

ونادرًا ما تكون الثقافة الفرعية للمخدرات ثابتة أو ساكنة، ولكنها تتغير بمرور الوقت. وفى حين أن القيمة المركزية (الشعور بالنشوة) والأدوار المركزية (المروج، المشترى، المتعاطى) تبقى ثابتة نسبيًا بمرور الوقت، إلا أن معايير السلوك يمكن أن تتحول نتيجة للضبط الاجتماعى من ثقافة الطبقة الوسطى والنظام القانونى والتذبذب فى تفضيلات المخدرات وتوفر المخدرات فى السوق. أيضًا فإن الابتكار والتغيير لهما قيمة كبيرة فى الثقافة الفرعية للمخدرات، حيث يتم السعى إلى الحصول على المخدرات الجديدة وتجربتها، ويتم وضع المصطلحات السرية أو "السيم" بسهولة وإسقاط المصطلحات القديمة، ويمكن أن تتغير أوقات وأماكن التعاطى. كما أنه "فى حين تنمو الثقافة الفرعية من تفاعل جماعات الناس إلا أنها ليست عبارة عن هذه الجماعات أو الأشخاص" أيضًا فإن الثقافة الفرعية تبقى من خلال استمرار تفاعلات الأشخاص. ولأن هذه التفاعلات تكون ديناميكية، فإن الثقافة الفرعية تكون ديناميكية أيضًا ويتم تعديلها ذاتيًا بشكل مستمر.

أيضًا فإن حدود الثقافة الفرعية تكون دائمًا مائعة وغير محددة ويمكن أن تسهل محاولة تحديد أو تعريف معايير السلوك والقيم المركزية من حصر الثقافة الفرعية التى يمكن وصفها وتحليلها على سبيل المثال يمكن أن تشمل الثقافة الفرعية للمخدرات المتعددة عناصر تركز على التخدير، الأقراص أو الكوكايين، والتى يمكن أن تكون مفيدة لأغراض تحليلية أخرى بالنسبة لعلماء اجتماع آخرين. ويمكن أن تكون أية حدود مختارة لتعريف الثقافة الفرعية اعتباطية إلى حد ما وغير صحيحة مثل أية تعريفات أخرى. وترتبط قيمة الحدود إذا ساعدت الأبحاث النظرية والتدريبية على فهم كيفية تركيب وعمل تعاطى المخدرات داخل الثقافة الفرعية، وكيفية ارتباطها بأشياء الثقافات الأخرى وبالثقافة العامة أو الكلية.

ويمكن أن يلاحظ أعضاء الثقافة الفرعية اختلافًا فى تركيب الدور، ومعايير السلوك والمصطلحات. ويميل أعضاء الثقافة الفرعية إلى تجاهل التشابهات الكبيرة فى السلوك والاستجابة لمعايير السلوك نفسه من قبل المستخدمين الآخرين، حيث إنهم يؤكدون – على ما يبدو – فروقًا طفيفة فى التعبيرات، الطقوس، المظهر وبعض السلوكيات الأخرى. ومن هنا فإن تعريفات وحدود الثقافة الفرعية نادرًا ما يتم الاتفاق عليها، بالرغم من أن القيم المركزية، ومعايير السلوك، والأدوار والسلوكيات يمكن أن تقدم جميعها إطارًا تحليليًا مفيدًا[١٦].

وتدور هذه النظريات حول ثلاث قضايا كما يلى:

ترى **القضية الأولى** أن أسباب سوء استخدام المخدرات ناتج عن عجز المجتمع عن تحقيق أهداف الشباب المعلنة ثقافيًا بالوسائل المشروعة اجتماعيًا أو حتى بالوسائل غير المشروعة اجتماعيًا، الأمر الذى يبرر استخدام هؤلاء الشباب للأسلوب الانسحابى، وتعد المخدرات هى الوسيلة المناسبة لهذا الأسلوب. حيث يرى "ميرتون" أن الأفراد الذين يستخدمون الأسلوب الانسحابى كأحد أنماط التكيف الانحرافى يتميزون بأنهم لا ينتمون إلى

المجتمع، وإن كانوا يعيشون بداخله، فهم لا يشاركون فى الإطار العام لقيم هذا المجتمع. كما يرى كل من "ريتشارد كلوارد أوهلين" و "لويد أوهلن" أن الأفراد الذين يستخدمون التكيف الانسحابى يندمجون فيما أطلقا عليه الثقافة الفرعية الانسحابية Retrealist Subculture، حيث ينسحب أعضاء هذه الثقافة بعد مشاعر الإحباط الناجمة عن افتقادهم الفرصة المشروعة أو الفرصة غير المشروعة، ويتوافر هذا النوع من الثقافات فى المناطق المتخلفة غير المستقرة Unstable Slum Area فأعضاء هذه الثقافة يواجهون فشلًا مزدوجًا، حيث يعجزون عن تكوين ثقافة فرعية إجرامية أو ثقافة فرعية صراعية.

إن جماعة الرفاق تؤدى دورًا حاسمًا فى عملية تعلم تدخين المخدرات، فحينما تُدْخل جماعة الرفاق شخصًا مبتدئًا فى عضويتها، تقوم بتعليمه التدخين لكى يدرك الخبرات السارة المرتبطة بعملية التعاطى، كما أن العضوية فى مثل هذه الجماعة تشجع على تعاطى المخدرات غير المشروعة أكثر من المخدرات المشروعة، وتعلم العضو أيضًا كيفية تقبُّل معايير الثقافة الفرعية المؤيدة للمخدرات، وَرفْض معايير الثقافة الرافضة للمخدرات، كما أن أعضاء هذه الجماعة يندمجون فى جرائم أخرى كالسرقات والسطو على المنازل، وذلك لتدعيم عاداتهم الإدمانية، وقد تكون هذه الثقافات وهذه الجماعات معوقة لوظيفة المجتمع، إلا أنها كثقافات فرعية وكجماعات هامشية لها وظيفة اجتماعية أساسية فى احتواء أعضاء الجماعة وجذبهم ودعمهم ومساندتهم بل وتحقيق وجود اجتماعى لهم بعدما استبعدهم مجتمعهم.

إن منظور الثقافة الفرعية للمخدرات يوضح أن المشاركة فى الثقافة الفرعية للتدخين البسيط توجه الشخص نحو التورط فى الثقافة الفرعية للحشيش – المنتشرة بين الشباب– والتى تمهد إلى المشاركة فى الثقافة الفرعية للمخدرات المتعددة، ولقد كان العديد من متعاطى حقن الهيروين مشاركين فى الثقافة الفرعية للمخدرات المتعددة[١٧].

وتصمم نظرية الثقافة الفرعية للمخدرات لتفسر السلوك الجماعى، ويعرف السلوك الفردى بأنه نتيجة لاتباع قيم ومعايير سلوك وأدوار وطقوس ومصطلحات الثقافة الفرعية، وكلما زاد التزام الشخص نحو جماعة تستخدم المخدرات ونحو قيم الثقافة الفرعية، زادت إمكانية التنبؤ بسلوك هذا الشخص.

إن نظرية الثقافة الفرعية للمخدرات لا توظف مفاهيم إساءة الاستخدام والاعتمادية والإدمان. ولكن هذه المفاهيم تعد عناوين أو تسميات مطبقة على أدوار الثقافة الفرعية، وترى نظرية الثقافة الفرعية أن المصطلحات والمفاهيم المستخدمة لوصف أنماط استخدام المخدرات تتغير بمرور الوقت داخل الثقافة الفرعية، وتوضح نظرية الثقافة الفرعية أن المشاركين يميلون إلى اعتبار سلوكهم "طبيعيًا" وإسقاط هذه الأنماط على الآخرين بغض النظر عن مدى ندرة سلوكهم. وهكذا فإن استهلاك المخدرات الذى تعده سلطات التحكم المجتمعية غير شرعى أو يعده الذين يقومون به أمر عادى ومتوقع، خاصة من يقومون بأدوار المروجين. أيضًا بمرور الوقت وزيادة مستويات الاستهلاك فى العديد من قطاعات المجتمع، فإن ثقافة الوالدين والمؤسسات القانونية تبدأ – بتردد – فى تقبل تعريفات الثقافة الفرعية. على سبيل المثال كان يسمى استهلاك المخدرات بشكل أسبوعى "استخدام مكثف" فى المسوح التى أجريت، بينما حاليًا فإن التناول اليومى هو الذى يشار إليه بهذا الاسم.

وللموضوعية تشمل نقاط قوة مدخل الثقافة الفرعية للمخدرات ما يلى:

١- تتم صياغته من حيث المعايير، القيم، الأدوار، سلوك الدور، الطقوس والعادات المؤثرة فى التفاعل بين الأقران فيما يتعلق بتعاطى المخدرات، ومن خلال البناء على المفاهيم الاجتماعية الأساسية يمكن توجيه جهد الباحث نحو وصف وربط وتحليل العلاقات بين هذه المفاهيم.

٢- يقدم هذا المنظور صياغة واسعة يمكن أن تضم النتائج التجريبية لدراسات أخرى.

٣- يؤكد أهمية ومركزية نمط توزيع المخدرات غير الشرعية بالنسبة لأنماط تعاطى المخدرات، بدء تعاطى المخدرات الأخرى ومشكلات السلوك الاجتماعى الأخرى مثل التدخين وخلافه.

٤- يتناول ظواهر إساءة استخدام المخدرات على مستوى الجماعة ويركز على الجوانب التى لا يمكن تفسيرها (القيم، معايير السلوك، الطقوس) كإجمالى السلوك الفردى، الحالات النفسية أو ردود الفعل الفسيولوجية لاستهلاك المخدرات.

٥- يوفر وسيلة لتفسير أو فهم التغير فى استخدام المخدرات من قبل الأفراد والجماعات وداخل الثقافة الفرعية فى حد ذاتها. وهناك زوايا أخرى قليلة تقدم نموذجًا نظريًا يفسر السلوكيات المرتبطة بسوق المخدرات غير الشرعية ويربطها باستخدام المخدرات.

ولقد أثارت نظرية الثقافة الفرعية للمخدرات الانتقادات، ولكن هناك بعض الحدود أو جوانب القصور التى ذكرت بشكل غير رسمى والتى ما زالت تنتظر أبحاث أخرى فى المستقبل القريب لاختبارها وتطويرها. فمثلا يصعب إثبات هذا المنظور لأنه لا يمكن قياس المتغيرات المستقلة المهمة بشكل مباشر أى إنه لا يمكن قياس توقعات السلوك فى موقع معين بشكل مباشر، بالرغم من أن هناك من حاولوا قياس هذه التوجهات المعيارية. مثل طبيعة معايير الاستدلالات على السلوك من السلوك نفسه الذى سيتم تفسيره (الحشيش، عقاقير الهلوسة، الهيروين والمخدرات الأخرى). وهناك جانب ضعف آخر وهو عدم تحديد سبب وكيفية ظهور الثقافات الفرعية وتغيرها بمرور الوقت لذلك هناك حاجة خاصة للدراسات الإثنوغرافية التى تلاحظ وتحلل سلوك جماعات الأقران التى تستخدم المخدرات، وكذلك الدوافع الواعية وغير الواعية التى توجه الفرد والجماعة نحو تناول المخدرات[١٨].

وعلى ضوء انتماء الإنسان لجماعة الرفاق – كجماعة فرعية – يستمد منها ثقافة التعاطى، تصبح هى جماعة مرجعية، تعمل على انجرافه للانحراف والتعاطى.

ومن نتائج العلاقات الاجتماعية التى يشكلها الأطفال المتعاطون للمخدرات فيما بينهم، تنتج ما نسميه "الثقافة الفرعية"، ومن خصائص نمط حياة المتعاطى للمخدرات: علاقته بالمادة المخدرة، وتحدد هذه العلاقة بطريقة الحصول على المادة المخدرة، المتجارة فيها، تحضيرها واستهلاكها ويتبارى الأطفال فى الحصول على المواد المخدرة السائدة وفى أوساط المتعاطين (الحبوب المهدئة) والمستنشقات التى تتمثل فى الغراء، البنزين، عطور وكحول وغيرها من المواد التى تصنف فى قائمة المستنشقات.

ويكون للمتعاطى بائع مفضل، تبقى العلاقة بين المشترى والبائع علاقة طيبة يضمن من خلالها البائع المشترى (المستهلك) ويضمن المستهلك النوعية الجيدة، وضمان لعدم الوقوع بيد الشرطة. فالأطفال الذين يتاجرون فى المخدرات يبحثون عن أطفال مستهلكين يتعاملون معهم ويشكلون معهم علاقة تقوم على توفير المادة المخدرة مقابل بقاء المستهلك على اتصال دائم مع البائع ولا يغيره.

كما أن حب المال والثروة السريعة يكمن وراء اندفاع بعض الأطفال إلى المتاجرة بالمخدرات هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الفقر والظروف العائلية الصعبة التى تعيشها بعض الأسر تدفع ببعض الآباء إلى تشجيع أطفالهم إلى المتاجرة بالمخدرات.

ويتنوع هؤلاء فى رحلة التجارة ويتوزعون كل حسب دوره ووظيفته، فهناك التجار الذين يقومون ببيع المخدرات لأشخاص معينين (زبائن) ويقبضون المال الذى يأخذونه لصاحب السلعة، كما أنهم من خلال المال الذى يحصلون عليه، يقومون بشراء مادة مخدرة ليعاد بيعها مجددًا وليس بثمن شرائها بل يرفعون الثمن، كما أن هناك ناقلين للمخدرات؛ حيث يتم التفاهم بين صاحب السلعة (البائع) والزبون (المشترى)، ويقدم

المال مقدمة للبائع من طرف الزبون، ويتم استخدام الطفل هنا لنقل المخدرات فقط ولا يستلم أى مال من الزبون.

كما أن هناك أطفالًا اكتسبوا ثقة أصحاب المخدرات، تعطى لهم أوامر معينة حول أماكن ذهاب المخدرات وسعرها، وهنا يقوم هؤلاء الأطفال بنقل تلك الأوامر لأطفال آخرين يسلمونهم المخدرات وبعد إيصالها إلى الأشخاص المطلوبين يعودون بالمال إلى الأطفال الذين تلقوا منهم الأوامر (المسيرين)، الذين يجمعون المال ويقدمونه لصاحب المخدرات، وذلك لضمان السرية وعدم معرفة مالك المخدرات الأصلى.

وفى ميدان استهلاك المخدرات فإن الشىء الملاحظ هو أن أغلب المدمنين يفضلون الاستهلاك الجماعى للمخدر، لأنه يوفر الاطمئنان بحكم وضعية المستهلك الاجتماعية فالجماعة المدمنة"... فى تجمعها تعوض عجز المحيط العائلى، تمثل بالنسبة لأفرادها القوة والسلطة التى ترضى حاجتهم إلى الأمان وإثبات الذات".

ولكون المتعاطى للمخدرات ينتمى إلى المجتمع الصغير للمتعاطين ويشترك معهم فى فعل تعاطى المخدرات، وفى اللغة المستخدمة، وفى نمط حياة خاص بهم، فهو يعيش داخل تنظيم داخلى يحكمه نسق لا اجتماعى يقوم على تبنى قيم ومعايير خاصة بالأفراد المنتمين له، والتى تكون رافضة لقيم ومعايير المجتمع الكلى.

والعلاقات التى يكونها الفرد المتعاطى للمخدرات داخل هذا الوسط، فبحكم السلوكيات اللا اجتماعية التى يتميز بها هذا الوسط، تجعل أحدًا يضغط عليه، وفى هذه الحالة تبقى العلاقات أو الروابط ثابتة نوعا ما بين الفرد ووسطه، وفى حالة ما إذا كان تابعًا لغيره، فلا يكون كثير التكيف فى هذا الوسط، فيحاول العزلة عنهم كليًا أو جزئيًا.

كما يلعب الزمن دورًا مهمًا فى تحديد العلاقة بين المدمن وجماعة المتعاطين التى ينتمى إليها، فكلما طالت مدة العلاقة بينهما (الطفل والجماعة) زادت درجة التكيف مع هذه الجماعة، وبطول الزمن يكتشف الفرد المنتمى إلى هذه الجماعة ما لم يكتشفه فى بداية الاحتكاك بها.

وبنظرة لطبيعة العلاقة بين جماعة المتعاطين والمجتمع فإنه تحدد هذه العلاقة بنظرة مجتمع غير المتعاطين ومعاملتهم لهذا الطفل المدمن، وهى كما يراها الأطفال المدمنون أنها نظرة سلبية، وهو ما يدفع بالمتعاطى إلى الانعزال عن هذا المجتمع الذى لا يرحمه، ويندمج أكثر من جماعة المتعاطين، وهنا تعمل تلك النظرة السلبية على تحطيم الروابط بين المجتمع وبالتالى يصبح المتعاطى عاجزًا على الاتصال وإنشاء علاقات مع المجتمع.

كما أن هناك خصائص تميز هذا الوسط أو جماعة المتعاطين مثل ميزة التعاون بينهم خاصة إذا كان أحد أصدقائهم يحتاج لذلك. كما يستخدم المتعاطون بعض الألفاظ لم نسمع بها من قبل، أو سمعناها لكنها لا توصل المعنى الذى يرغب المبحوث فيه، فهم يستعملون ألفاظًا خاصة بهم، هى رموز تدل على انتمائهم لوسط، تجعلهم يتعارفون فيما بينهم وليس بغية إثراء رصيدهم اللغوى، وإنما حتى يتفادوا الوقوع فى يد رجال الأمن، وأن يجعلوا من يحيط بهم من غير المتعاطين للمخدرات لا يعلم حقيقة أنهم يتحدثون عنها لتفادى الحكم عليهم.

نتائج وتوصيات الدراسة

يستنتج من ذلك أن طبيعة مدخل الثقافة الفرعية فى تفسيره لانخراط الشباب فى تعاطى المخدرات وخلق بيئة محفزة وجاذبة لغير المتعاطين، وخلق الشهية التى تقترن بالانتظام داخل هذه الجماعة، وهذه الثقافة، على نحو ما تقدم يمكن أن تنبه الباحث والقارئ لبعض المفاهيم والاختلافات المهمة وأنماط السلوك التى يمكن قياسها والتعرف إلى طبيعة العلاقات بين المتغيرات، والتى يمكن أن تؤدى جمعيها إلى رؤى مهمة عن سبب وكيفية الانخراط فى التعاطى، وكيف ينجذبون للتعاطى وهم يعلمون أن هناك عقوبات مشددة تنتظرهم عاجلًا أو آجلًا، ومع ذلك لا يكترثون، بل حتى بعد الإفراج عنهم – عقب تأدية العقوبات – يعودون.

ويشير ذلك إلى أهمية الالتفات بالدرجة الأولى للتعامل مع التعاطى والمتعاطين للمخدرات من خلال جاذبية وإغراء الثقافات الفرعية لجماعات المتعاطين، والعمل على تقوية المعرضين لذلك على أنفسهم، وإعادة تنشئة ثقافية وقيمية للمنخرطين فى هذه الجماعات جنبًا إلى جنب مع الآليات القانونية والشرطية والعقابية.

المراجع

١- مصطفى سويف، المخدرات والمجتمع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٦، ص٢٥.

٢- ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص١٩٢.

٣- محمد حسن غانم، بحوث ميدانية فى تعاطى المخدرات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٤، ص١٠١.

٤- تقرير المخدرات العالمى، خلاصة وافية، بمكتب الأمم المتحدة المعنى بالمخدرات والجريمة UNODC، ٢٠١٣، ص٣.

٥- أنعام عبد الجواد (وآخرون)، المسح الشامل لظاهرة تعاطى وإدمان المخدرات المرحلة الثالثة: دراسة على المدمنين من نزلاء أقسام علاج الإدمان "القاهرة الكبرى"، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلس القومى لمكافحة وعلاج الإدمان، القاهرة، ٢٠٠٠، ص

٦- مصطفى سويف، دروس مستفادة من بحوث تعاطى المخدرات فى مصر، الكتاب السنوى لعلم الاجتماع فى مصر، العدد السادس، دار المعارف، القاهرة، أبريل ١٩٨٤، ص٢٦١.

7- Vetter Harold. J., and Silverman; Criminology and Crime, Harper and Row Publishers, N.Y., 2012, pp. 235-240.

٨- إسماعيل قيرة، الفقر بين التنظير والسياسة والصراع، لبنان، بيروت، مجلة المستقبل العربى، العدد ٢٤٤، ٢٠١٣، ص٤٧.

٩- نبيلة الشوربجى، علم النفس الاجتماعى، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥، ص ٢٣٧-٢٤٠.

١٠-محمد عبد المعبود مرسى، تفسير جناح الأحداث فى ضوء الثقافات الفرعية، القاهرة، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٩١، ص ص ٧٨ – ٨٢.

١١-محمد عبد المعبود مرسى، مرجع سابق، ص ص ١٦ – ١٨.

12- R.c. Jiloha, Review Article. Social and Cultural Aspects of Drug Abuse in Adolescents (in) Delhi Psychiatry Journal, 2012, Vol. 12, No. 2, p. 167.

13- Miller WJ and Hunter L., The Relationship between Socio-economic Status and Household Smoking Patterns in Canada. Am J. Health Promotion, 2010, Vol. 5, pp. 36-43.

14- McGraw SA, Smith KW, Schensul JJ and Carrilo E., Socio-cultural Factors Associated with Smoking by Puerto Rican Adolescents in Boston. Soc Sci. Med., 2012, Vol. 33, pp. 1355-1364.

15- Severson HH and Lichtenstein, Smoking Prevention Programmes for Adolescents: Rationale and Review. In: Krasnegor N and Cataldo M. (Eds) Child Health and Behaviour, New York, Miley, 2011, p. 20.

16- Eckersley R., Cultural Fraud: The Role of Culture in Drug Abuse. Drug and Alcohol Review, 2005, Vol. 24, pp. 157-63.

١٧- محمد الدقس، علم الاجتماع والانحراف، دار النهضة، الأردن، ٢٠١١، ص٣٥.

18- Conrad KM; Flay BR and Hill D., Why Children Start Smoking Cigarettes: Predictors of Onset. Br J Addiction, 2010, Vol. 87, pp. 1711-1724.

Abstract

Social Reading of the Subculture of Drug Abuse

Albasuiny Abdalla

The current study tackles a re-read of the interpretation entries of drug abuse and identifying the most suitable ones. In addition to monitor the magnitude of the drug problem globally and locally, and identifying the efficiency of the subculture entry in interpretating drug abuse and prevalence.